مجلة المرابط

العدد : ١٨٨ الموافق في ذو القعدة ١٤١٧ هجري ٤ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : { قد أفلح من زكّاها ❋ وقد خاب من دسّاها }	بقلم : الأستاذ عصام العطار

يقف أكثرُ المسلمين في مواجهة عالمهم وعصرهم ، ومشكلاتهم في عالمهم وعصرهم موقفَ العاجز الخائف الذي يَشُكُّ في نفسه وإمكاناته ، أو لا تُسْعِفُه إمكاناتُه واقعياً ليكون على مستوى سواه النفسي والعملي ، وينعكس ذلك في تفكيرهم ومواقفهم ، وتخطيطهم لمستقبلهم ، وعلى كل صعيد آخر يخطر بالبال...

وما أكثرَ ما أسمع من شيوخٍ ، وكهولٍ ، وشبابٍ أيضاً ، وأنا أطرح بعضَ الأهداف ، والواجبات ، وسُبُل العمل :

هذا مستحيل !

أو هذا صعب جدّاً !

وليس ما أطرحه عليهم مستحيلاً في ذاته ، ولا صعباً جدّاً في نفسه ، كما يتوهمون ؛ ولكنْ جَعَلَه مستحيلاً عندهم أو صعباً ، ما هم عليه من ضعفِ الطاقات والإمكانات ، وضآلةِ الاستعداداتِ والقدرات ، أو فقدان الثقة بأنفسهم ، وإذا فقدَ الإنسانُ الثقة بنفسه فقدَ القدرة على أيّ عمل جليل ، أو هدفٍ أو حلمٍ كبير

إذا قلتَ لطفل صغير : اقفزْ بضعة أمتار على هذه الأرض ، قال لك : هذا مستحيل ، لا أستطيع

وإذا قلت لطالب لم يتعلم القراءة بعد : اقرأ هذا الكتابَ أو ذاك من كتب العلم أو الأدب ، قال لك : هذا مستحيل لا أستطيع

فإذا كبر الطفلُ وتدرّب ، وتعلم الطالبُ وتقدّم ، قفز أبعد مما كنت طلبتَ ، وقرأ أكثرَ مما كنتَ اقترحتَ ، ورأى ذلك أمراً ممكناً بل يسيراً ، وطمحت نفسُه إلى ما هو أهمّ وأجلّ وأسمى

وهكذا الأمر بالنسبة للمسلمين في هذا العالم والعصر

إذا أردت أن يتغيّر تفكيرُهم الانهزاميُّ العاجز اليائس ، ومواقفُهم الحقيرةُ المستسلمة ، وواقعُهم القبيح الذليل ؛ وأن يتبدّلوا بشكّهم يقيناً ، وبيأسهم ثقةً ، وبسلبيّتهم إيجابية ، وباستسلامهم إباءً وعزةً ، وأن يَروا ما كانوا يظنّونه مستحيلاً مُمْكِناً ، وما كانوا يتوهّمونه صَعباً سهلاً... فيجبُ بناءُ الشخصيّة الإسلاميةِ الفرديةِ والاجتماعيةِ بناءً جديداً سليماً ، وأن تتفتح هذه الشخصية وتنمو بكلّ أبعادها إلى أقصى مَدَىً ممكن

يجب أن تتفتح وتنمو المواهب والاستعدادات

يجب أن تتفتح وتنمو الطاقات والقدرات

يجب أن يتقدم المسلمون في مختلف ضروب المعرفة والاختصاص والنشاط الإنسانيّ النافع على الصعيد الفرديّ والجماعيّ ، المحليّ والعالميّ ؛ فإذا تمّ لهم ذلك ، أو قطعوا أشواطاً صالحة فيه ، اختلفت نظرتهم إلى الأمور ، واختلف موقفُهم النفسيّ والفكريّ والسلوكيّ ، ووجدوا السُّبُل والوسائل المناسبة للخروج من مَآزقهم ومآسيهم ومِحَنهم ، والثقة الضرورية الكافية ، والأملَ الحافزَ ، والقدرةَ والكفاءةَ اللازمة للتقدّم المستمر ، وتحقيق النجاح ، وبلوغ الأهداف

ولقد أرشدنا الله تعالى ، وأرشدنا رسوله ﷺ إلى ذلك بغاية الوضوح ، ويكفي أن نقرأ في ذلك هذه الآيات الأربعة القصيرة من سورة الشمس التي يقرؤها كثيرون منا بألسنتهم ، وهم عن معناها غافلون !

{ **ونفسٍ وما سوّاها ❋ فألهمها فجورَها وتقواها ❋ قد أفلح من زكّاها ❋ وقد خابَ من دسّاها** }

ما معنى زكّى الإنسان نفسه ؟

معنى ذلك - أو من معاني ذلك - في اللغة : طهّرَها ، وأصلحها ، ونمّاها...

وما معنى دسّاها ؟

معنى ذلك - أو من معاني ذلك - في اللغة : أخفاها وأخملَها حتى لا يُقصَد في الحاجات ، ويَنْهَضَ بالواجبات ، وأغواها وأفسدها...

فـ { **قد أفلح من زكاها** } معناه : قد أفلح من طهّر نفسَه من الشرك والنفاق والرياء ، والفجور والذنوب والعيوب ، وأصلحَها ، ونمَّى فيها مواهبَها واستعداداتِها الطيبة ، وسائرَ جوانبِ القدرةِ والتقوى والخير...

{ **وقد خاب من دساها** } معناه - أو بعض معناه -: قد خسر من أفسد نفسَه أو أعانها على الفجور والغَيّ والفساد ، وخَنَق فيها أو دَفَن فيها مواهبَها واستعداداتِها الطيبة ، وجوانبَ القدرة والتقوى والخير

❋ ❋ ❋

وتزكيةُ النفوس حاجةٌ من أهم حاجات البشر ، وعنصرٌ من أجَلِّ عناصرِ رسالات الرسل ، كما نجد ذلك جلياً في كتابِ الله عز وجل

ومن ذلك دعوةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام ، وهما يرفعان القواعدَ من البيت الحرام :

{ **وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ وإسماعيلُ ربنا تقبلْ منّا إنك أنت السميعُ العليم ❋ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وأرنا مناسكَنا وتبْ علينا إنك أنت التوابُ الرحيم ❋ ربّنا وابعثْ فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِك ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ ويزكّيهم إنك أنت العزيزُ الحكيم** } [البقرة:١٢٧-١٢٩]

ومن ذلك قوله تعالى :

{ **لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسِهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمُهمُ الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين**} [آل عمران:١٦٤]

وقوله:

{ **هو الذي بعثَ في الأمّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويزكّيهم ويعلمهم الكتابَ والحكمةَ وإن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مبين** }[الجمعة:٢]

وهكذا يجب على كل مسلم صادق واع أن يسعى لاكتشاف ما وهبه الله تعالى من المواهبِ والاستعداداتِ الطيبة ، والطاقاتِ والقدراتِ المتعدّدة ، وأن يُنمّيَها ، ويسدّدها ، ويبلغ بها غاية ما يستطيع ، فهذا جهادٌ جليل يغفل عنه كثيرٌ من الناس ، جهادٌ يَبدَأ به ويَستند إليه كلُّ جهاد

ويجب على كل مجتمع إسلاميّ أن يسعى إلى اكتشاف مواهبِ أبنائِه وأفرادِه واستعداداتِهم الطيّبة ، وما يملكون من الطاقاتِ وإمكانات ، وأن ينمّيها ويوجهها ، ويبلغ بها أقصى مداها ، ويعمل على توظيفها الأمثل في خدمة الإسلام والمسلمين ، وأن يُعَرِّفَ أصحابَ المواهب والاختصاصات الواحدة أو المتشابهة بعضَهم إلى بعض ، ويشجّعهم ويساعدهم على التعاون والتكامل فيما بينهم ، وعلى التعاون والتكامل مع غيرهم من أصحاب الاستعدادات والاختصاصات الأخرى ، وأن يحقّق أفضلَ ما يمكن من التناسق والترابط بين مختلف المواهب والاختصاصات والجهود والنشاطات وبين حاجات الإسلام والمسلمين المحلية والعالمية ، القريبة والبعيدة على كل صعيد

ثم لا بدّ أن تتناسق وتتكامل الجهودُ المختلفةُ على مستوى الأقطارِ والأقاليم ، ومستوى العالمِ كلّهِ ، وأن تزدادَ العقولُ والجهودُ نُضْجاً وإحكاماً ، والخُطى حيويّةً وفاعليةً وسَداداً ، والثمراتُ كَثْرَةً ودُنُوّاً وطيباً

إن هذا في نظري واجبٌ عَيِنِيٌّ على بعض المسلمين ، وكِفائيٌّ على الآخرين ، يأثم المسلمون جميعاً إن لم ينهضوا به على المستوى المطلوب

وهو شَرْطٌ لا بُدَّ منه لتغيير الواقع الفاسد ، وصُنع المستقبلِ الأفضل

فهيّا بنا - أيّها الإخوة المؤمنون - حيثما كنتم من الأرض ننهض بهذا الواجب العظيم

يجب أن نربح معركة التربية والتنمية والتزكية الإنسانية الفردية والاجتماعية والجماعية الشاملة ؛ فإذا ربحناها ربحنا معركتنا الحضارية ، ومعركتنا الاقتصادية ، ومعركتنا السياسية... وسائر معاركنا الأخرى

هيّا بنا - أيها الأخوة - فذلك هو سبيلُ الفلاح في الدنيا والآخرة

{ **قد أفلح من زكّاها ❋ وقد خاب من دسّاها** }

صدق الله العظيم